شَهِيدٌ

حُسَيْن يوسِف العصفوري - مصر

.... زغاريد الفَرَحِ تَمْلَأُ الفَضَاءَ المُحِيطَ.. تَنْطَلِقُ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ يَتَخَلَّلُهَا بَعْضُ الصُّرَاخُ، وَالعَوِيلُ.. سُرْعَانَ مَا يَتَحَوَّلُ إِلَى تَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٌ.. وَأَنْوَرُ يَتَحَرَّكُ بَيْنَ جُمُوعِ النَّاسِ مِنْ حَارَتِهِ الصَّغِيرَةِ بَيْنَ إِخْوَتُهِ وَجِيرَانِهِ وَاسْمُ أَبَيه يَتَرَدَّدُ فَوْقَ الأَلْسِنَةِ.. وَعَيْنَاهُ تَبْحَثَانِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.. وَنَظْرَاتُ التَّرَقُّبِ لِلبَدَلَاتِ العَسْكَرِيَّةِ وَطَائِرَات تَخْتَرِقُ الأَجْوَاءُ بِأَصْوَاتٍ قَوِيَّةٍ ذَهَابًا بِلَا عَوْدَةٍ.. وَأَيَادٍ مَرْفُوعَةٌ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ.. وَالدُّعَاءُ وَأُخَرِى بِالتَّحِيَّةِ..

وَجَدَ نَفْسَهُ بِالمَقَابِرِ وَالجَمِيعُ حَوْلَهِ وَأَخَوهُ يَلُفُّ رَقَبتَهُ بِاحْتِوَاءٍ.. وَيَبْكِي قَلِيلًا وَيَبْتَسِمُ.. سَأَلَهُ: "مَنْ مَات؟".. تَرَكَهُ وَانْشَغَلَ عَنْه وَعَيْنَاهُ شَارِدَتَانِ مَعَ الجَسَدِ يَتَسَلَّلُ إِلَى القَبْرِ فِي دُعَاء وَأَيَادٍ تَتَلَقَّفُهُ وَتَتَمَسَّحُ بِرِدَاءٍ أَبْيَضَ وَعَلَم الشَّهَادَة يحتويه وَأَجْمَلُ مَا رَأَتْ مُقْلَتَاهُ.. وَاسْمُ أَبِيهِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَأَخَوهُ يُسَلِّمُ بِابْتِهَاجٍ.. هُو لَا يُصَدِّقُ مَا تَرَدَّدَ فِي عَقْلِهِ وَبِين الشِّفَاهُ سَأَلَ جَارَهُ.. أَخْبَرَهُ بِعُنْفُوَانٍ: "إِنَّ أَبَاكَ قَدْ الْتَحَقَ بِالفَخْرِ وَهُو يُقَاتِلُ الأَعْدَاءَ.. وَأَصْوَاتُ الجَمِيعِ تعلو (اللهَ أَكْبَر)، وَالشَّيْخُ يَخْطُبُ فِي آبَاءِ.. خَيْرِ أَجْنَاد الأَرْضِ.. فِي رِبَاطٍ.. تَسَلَّلَ "أَنْوَر"بِين الكِبَارُ وَلَكِنَّ أَيَادِي أُمِّهِ تَلَقَّفَتْهُ قَبْلَ إِقْلَاعِ القَارِبِ إِلَى سَيْنَاءَ.. وَهِيَ تُرَدِّدُ حَقّنا لَنْ يُضَيَّعَ يَا وَلَدِي.. لَمْ تَنْتَهِ!!